

قرنة الحمرا: أرض الذهب، والخمرة

والجمال والرجال !!

إعداد لجنة الإعلام في النادي الكندي الفينيقي

عندما تعزم على التحدث عن قرية قرنة الحمرا، فأنت لا تحتاج إلى مقدمات. يكفي أن تقصدها وتطلب بطاقة هويتها لتعود بمعلومات وفيرة عنها... ولتعرف أن تسمية قرنة الحمرا تعود إلى عاملين مهمين أولهما هو أن أهالي هذه القرية كانوا من الأثرياء القدماء ويملكون الكثير من الذهب. وقد دعيت في البدء قرنة الذهب. أما العامل الثاني والذي منه إتخذت التسمية، فهو أن قرنة الحمرا مشهورة بزراعة الكرمة واشتهار الكرمة فيها جعلت صناعة الخمرة في القرية مزدهرة، حتى أصبح أهالي القرى المجاورة يطلقون عليها تسمية "قرنة الخمرة"، وصار هذا الاسم يُحوّر على مر السنين إلى أن أصبح "قرنة الحمرا".

موقع قرنة الحمرا

تقع قرنة الحمرا في أواسط المتن الشمالي على رابية تبعد حوالي سبعة عشر كيلومتراً عن العاصمة بيروت. يحدها من الشرق القنيطرة ودير مار جرجس، من الجنوب الشرقي عين عار، من الجنوب بيت الكوكو ومزرعة يشوع، من الغرب زكريت ودير مار عبدا، من الشمال نهر الكلب، ومن الشمال الشرقي الفريكة.

تصل إلى قرنة الحمرا عبر ثلاث طرق

الأولى صعوداً من أنطلياس - مزرعة يشوع - قرنة الحمرا. والثاني نزولاً من بيت شباب - الفريكة - قرنة الحمرا. والثالث نزولاً أيضاً من قرنة شهبان - عين عار - قرنة الحمرا. ولكن عند وصولك إليها عبر أي من المداخل الثلاثة، تجد نفسك تلقائياً أمام مقارنة حرجة ما بين روعة الطبيعة الإلهية وذوق البناء البشري الرفيع المستوى. ويفاجئك مزيج رائع من إحمرار القرميد والاحضرار الشامل، وهذا الجمال الطبيعي جعلها تفوز عام ١٩٧٣ بجائزة وزارة السياحة لأجمل قرية لبنانية.

تضاريسها غير منبسطة، ففيها يعلو رأسها خمسمائة وخمسين متراً عن سطح البحر تراها تغسل أقدامها بمياه نهر الكلب الذي يفصل بين قضاءي المتن وكسروان، وتتوزع منازلها الفخمة الحجرية البناء القرميدية السطوح، بطريقة غير منتظمة ولكن بشكل جميل، ويمكنك أن تستشف من خلالها ثراء أصحابها والمستوى المادي للقرية ككل.

من الفينيقيين إلى الصليبيين إلى النزوح من قرية بجة

لقد كان موقع القرية قديماً في مركز دون مكان التجمع الحالي فموقعها القديم كان على التلال القريبة من نهر الكلب. وفي هذا المكان بعض الآثار الفينيقية من نواويس وكهوف. وبذلك يكون تاريخ مركز التجمع المعروف حالياً بقرنة الحمرا، مأهولاً منذ العهد الفينيقي وربما أمكن الوصول إلى إعادة زمن القرية لعهود سابقة للفينيقيين إذا ما أُجريت تنقيبات في المغاور المتعددة في ذلك السفح، وليس بالمستبعد أن يُكتشف فيها أدوات لإنسان العصر الحجري، إذ أن الحفريات دلت على وجود الظران في مغاور نهر الكلب المجاورة لهذا المكان. لم يبق من أثر يمكنه أن يدلنا على مجتمعات تلت المجتمع الفينيقي في سكنى القرية قبل القرن السادس عشر، ولكن من المرجح أن هذه المنطقة سُكنت من قبل التتوخييين أو المردة فيما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر، وقد وقعت نزاعات عديدة فيما بينهم في هذه الفترة من التاريخ.

وفي مجال آخر، ذكرت أحد المصادر التاريخية أن القائد الصليبي الكبير المعروف "برجيس الصليبي" كان سكن تلة الرويسة، وهي منطقة من القرنة الحمرا تقع بالقرب من دير مار عبدا وتطل على نهر الكلب، وكان حاكم بيروت آنذاك "حكوم اليهودي" قد فرض ضريبة على القائد الصليبي، لكن هذا الأخير تمنع عن أدائها، فأرسل حكوم اليهودي إليه حملات متتالية بغية تأديبه انتهت بعد صراع طويل بانهزام برجيس الصليبي. يتناول التاريخ المدون هجرة العيال المسيحية من الشمال إلى المتن ابتداء من هذه الحقبة، أخذ المجتمع في قرنة الحمرا ينمو مع وفود النازحين إلى هذه الربوع.

بجة - قرنة الحمرا - الكحالة

في هذه الحقبة، قد مر إلى القرية قوم من بجة من بلاد جبيل، ينتسبون إلى رجل يدعى "قنبور سعادة"، نزح إلى بجة في العام ١٤٨١ حيث نما نسله وتفرق من بعد في قرى شبطين ومار ماما من بلاد البترون، وقرنة الحمرا من بلاد المتن. وقد عرفت هذه السلالة بآل بجانني نسبة إلى بجة، ووفد البجانيون إلى المتن، وهم من المتمولين والأغنياء، فأشتروا لهم الأملاك من رجال الإقطاع، وبنوا لهم الدور وحسنوا الأراضي مستثمرين التربة والمكان. كان مجال استثمارهم في زراعة التوت وإنتاج الحرير. ولكن قرنة الحمرا ما عرفت من المعامل الحريرية أكثر من مراكز لحل الفيالح فقط، وكان الملاكون وأصحاب المشاريع فيها يرسلون إنتاجهم إلى مصانع أخرى في القرى المجاورة لنسجها وإتمام صناعتها. كما أنهم أنشأوا بعض المعامل في خارج نطاق البلدة. وقد هجر قسم كبير من أهالي القرية واتجهوا جنوباً وأسسوا بلدة الكحالة الشهيرة. وما يزال

الشعور بالقربى ووحدة الأصل والدم تشد شعبي البلدتين حتى اليوم. وجدير بالذكر هنا أنه حصل تعاون كبير بينهما على صعيد بناء الكنائس. فإذاً، وباختصار، إن قرنة الحمرا المتتية هي وليدة بجة الجبيلية. وجدير بالذكر أن أهالي القرية المهاجرين إلى جميع أصقاع الأرض هم ضعفاً أو ثلاثة أضعاف أهلها الباقين.

أما العائلات فيها فكلها متحدرة من عائلة بجاني وهي تتفرع إلى بجاني، طعمه، جبر، معوض، لاوون، عبيد، سمعان، سركيس، يزبك، جاد، زخيا، سعد، مارون، جريج، كرم، نصر، الخوري، بركات، جنادبوس.

الكنائس في قرنة الحمرا

المعروف أن جميع أهالي قرنة الحمرا هم موارنة متمسكون بممارسة شعائرهم الدينية. لذا شلدوا العديد من الكنائس. ففي القرية كنيسة للسيدة العذراء تقع في أسفل القرية السكنية وتعرف "بسيدة المرجة" التي هي شفيعة القرية. تم بناء هذه الكنيسة في العام ١٧٠٣ وهو التاريخ الذي دُونَ نقشاً فوق عتبة مدخلها الغربي. يسترعي انتباهك بادئ الأمر، عدم ارتفاع أبوابها الثلاثة. ولذلك سبب وجيه: فقد قال شيوخ القرية بأن الخيالة الأتراك كانوا يأبون دخول الكنيسة إلا وهم يعتلون صهوة جيادهم، فما كان من أهالي القرية، الذين لم يقبلوا هذين الإهانة والتحقير، إلا أن قللوا من ارتفاع الأبواب إلى شكلها الحالي وذلك حفاظاً على هيبة ووقار كنيستهم والسيدة البتول. ولم تتج هذه الكنيسة من ظلم الأتراك وحقدهم. فإذا نظرت جيداً إلى الصورة القديمة المعلقة على الحائط الشمالي للكنيسة تجد ثلاث بؤر من جراء ثلاث رصاصات، اثنتان فوق التاج الذي على رأس السيدة العذراء، والثالثة تحت قدمها اليسرى، ولكن الحاقد الغاشم لم يصب جسد العذراء بأية رصاصة، رغم قصر المسافة بينها وبينه، وهذه واحدة من عجائبها الكثيرة.

يوجد أيضاً كنيسة قلب يسوع في ساحة قرنة الحمرا. وهي كنيسة عظيمة ضخمة فيها الكثير من الذوق في البناء والزخرفة. وتعد من أكبر الكنائس في المنطقة: الملاحظ في هذه الكنيسة عوضاً من ضخامة حجمها، ارتفاع قبتها التي تصل إلى عشرات الأمتار، وهو ارتفاع نادر لقبه كنيسة في المناطق المحيطة. بدئاً ببناء هذا المعبد سنة ١٩٠٠. هذه هي الكلمات التي نقشت فوق عتبة بابها الغربي، تحت قبة الكنيسة. هناك أيضاً كنيسة مار نهرا، وتخص دير مار نهرا، الذي كان مدرسة. كذلك كنيسة القديسة تريز، وتخص دير ومدرسة راهبات الوردية.

وبرهاناً على إيمان الأهالي الفياض وعبادتهم للسيدة العذراء فإنك تلاحظ على مدخلها الرئيسيين مزارين للعذراء أحدهما غاية في الذوق والجمال. هذا عدا الكثير من المزارات التي تبنى مع بناء

المنازل والتي هي إلى حد ما بعدد بيوت القرية.

عادات، تقاليد، وأعياد في قرنة الحمرا

من عاداتها القديمة، كما في معظم قرى لبنان، كان شبابها يجتمعون بعد القداس الأحد ويتبارون بدق الجرس وقيم الجرن والمخل والمحدلة. لكن الأبناء لم يتوارثوا عن الأباء والأجداد هذه التقاليد الجميلة فأحتفت إلا من حكايات الشيوخ الليلية.

وأما الأعياد فهي على عدد كنائسها الأربع. فعيد السيدة العذراء في ١٤ آب من كل سنة، ينتظره الأهالي بفارغ الصبر، فيزور الكنيسة آلاف المؤمنين من القرية وخارجها ويكونون خلال الليل على موعد مع مهرجان فني هائل يُحضر له شباب القرية، وتحييه في كل سنة مجموعة كبيرة من نجوم الفن في لبنان، وذلك في النادي الرياضي القريب من الكنيسة والمسمى "بناي سيدة المرجة الرياضي". كذلك في الأعياد الثلاثة الأخرى يفد الكثيرون لزيارة الكنائس وتنتشر بالقرب منها خيام بائعي الحلوى ويكون صلاة إلى جانب الهرج والمرج حتى ساعة متأخرة من الليل. أضف إلى ذلك الاحتفال الكبير بعيد الجمعة العظيمة الذي يحييه شباب وصبايا البلدة، فتجري محاكمة السيد المسيح ومن ثم يحمل صليبه ويسير درب الجلجلة ويجري صلبه في مكان مغاير للمحاكمة حيث تحتشد أمواج هائلة من المؤمنين يؤمنون من كل حدب وصوب للمشاركة في هذه المسيرة.

قبوا، فقبوا، فديراً

في العام ١٨٢٧ قرر مجمع الأنطونيين بناء مدرسة في قرنة الحمرا. وبعد موافقة غبطة البطريرك يوسف حبيش، أوكل أمر البناء إلى الأب يمين البجاني من القرية نفسها. باشر البجاني بناء الدير بمساعدة شقيقه الأخ جرجس، فبني مدرسة من بيوت خشبية وجعلها قسماً منها كنيسة صغيرة للتقديس. وفي تاريخ لاحق هدم الأب إبراهيم "عين العلق" هذه الإنجازات، وبنى مكانها قبواً بالحجر، وزاد بعده الأخ جرجس البجاني قبواً آخر بجانبه، وأضاف عليها بعد ذلك الأب يوسف دانيال الخوري من قرنة الحمرا قبواً ثالثاً، وكذلك أضف الأب أنطونيوس بن يوحنا جرجس قبواً رابعاً وبنى فوقه غرفة كبيرة. وقد أضيف لاحقاً على هذه الأقبية غرف على يدي: الأخ يوحنا مراد البجاني، فالأب نعمة الله الملاح، فالأب لويس الحاج بطرس، والأب يوسف بن حزقيال إيليا الخوري، وهذا الأخير هو الذي اشترى الجرس المعلق حتى الآن على كنيسة الدير. أما الكنيسة فقد بناها الأب جبرائيل عواد البرماني بمساعدة أهالي قرنة الحمرا.

في العام ١٩٣٠، تبرع الخوري الياس جريج، وهو من قرنة الحمرا، بقطعة أرض كبيرة عليها بناء قديم لراهبات الوردية لاستعماله ديراً لهم ومدرسة يتعلم فيها أبناء القرية. وهكذا كان، فلقد

أسست راهبات الوردية أولى مدارسهن في لبنان على أرض قرنة الحمرا. وفي الثمانينات أضافت الراهبات بناءً ضخماً جديداً على البناء القديم فحصلت قرنة الحمرا من خلاله على مدرسة ضخمة رفيعة المستوى يقصدها طلاب العلم من شتى المناطق اللبنانية.

غنى مادي وأدبي!

إن مجتمع قرنة الحمرا الحالي هو من حيث الرفاهية بمقام. فلقد عمت البجوحة أكثرية الأفراد ولقد اتخذ هؤلاء مجال استثمار الأملاك والعقارات في لبنان، موضوعاً لدخلهم وتحريك أموالهم والدخل الباقي يتشكل من المشاريع التجارية والوظائف والمهن الحرة. أما الزراعة في القرية فأصبحت شبه معدومة وليس للصناعة من أثر سوى لمنشرتي خشب ومحل صغير لصناعة الأحذية ومعمل لصناعة البرادات.

في القرية عدد كبير من المنقفين والمفكرين، منهم الشاعر المشهور "الياس عبد الله طعمة" الملقب بأبي الفضل الوليد. ولد في أوائل آب سنة ١٨٨٩، بانث في ملامحه النجابة وهو صبي، ومال إلى العزلة والتأمل في سن اللهو واللعب. في السادسة من سنه دخل مدرسة القرية فأدهش معلميه. ثم انتقل إلى معهد عينطورة في أواخر عام ١٨٩٩ ومن ثم غادر المعهد ليلتحق بمدرسة الحكمة في بيروت بسبب حبه للغة العربية. أصدر جريدته "الحمرا" نسبةً إلى قريته سنة ١٩١٣ التي توقفت عن الصدور سنة ١٩١٧. وافاه الأجل في أواخر نيسان ١٩٤١ وكانت كلماته الأخيرة:

على عمرانها الدنيا خراب فدعها غير مأسوف عليها.

دفن في قرنة الحمرا وقد كتب على ضريحه كلمته الشهيرة التالية: "من لي بجناح كالحمامة فأطير وأستريح".

تاريخ قرنة الحمرا الحافل هو تاريخ كل قرية وبلدة لبنانية ... هذا البلد الذي صدر العلم والحضارة إلى العالم وأعطاه أول حروف أبجدية وعلمه القانون وركب البحر وفن الحروب ... إنه بلد ال ٦٠٠٠ سنة تاريخ وحضارة، إنه لبنان جنة الله على الأرض.